إنجيل متى ٢٠: ٢٠–٢٨

« لا لِيُخْدَم »

تأليف: تومي ساوث

« حينئذ تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيها، وسجدت وطلبت منه *شيئاً. فقال لها: ماذا تريدين؟ قالت له: قل أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك، والآخر عن اليسار، في ملكوتك! فأجاب يسوع وقال: لستما تعلمان ما تطلبان! أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا؟ قالا له: نستطيع! فقال لهما: أما كأسي فتشربانها، وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان. وأما الجلوس عن يميني وعن يساري، فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي! فلما سمع العشر، اغتاظوا من أجل الأخوين. فدعاهم يسوع وقال: أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم، بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً، فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً، فليكن لكم عبداً، كما ان ابن الإنسان لم يأت ليُخْدَم بل ليَخْدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين* » (متى ٢٠: ٢٠–٢٨).

تعلن رسالة يعقوب ٣: ١٦ بانه: « حيث الغيرة والتّحَزُّب هناك التشويش وكل أمرردىء ». لم يختلف الحال بين رسل المسيح الاثني عشر، إذ كانوا بشراً. وحسب سجلات الإنجيل، كانت الغيرة تنشأ بينهم والطموحات بالتكرار.[١]

أصبحت هذه المشكلة واضحة بصفة خاصة في اليوم الذي تقدم فيه يعقوب ويوحنا مع أمهما الناطقة باسمهما وطلبوا أن يجعلهما الأول والثاني في الملكوت!

> « حينئذ تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيها، وسجدت وطلبت منه شيئاً. فقال لها: ماذا تريدين؟ قالت له: قل أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك، والآخر عن اليسار، في ملكوتك! » (متى ٢٠: ٢٠ و٢١).[٢]

عند الاستجابة لهذا الطلب الجريء أوضح يسوع للابنين وأمهما الخطأ في طلبهم. « لستما تعلمان ما تطلبان! أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا؟ » (متى ٢٠: ٢٢). لم يعلم يعقوب ويوحنا بان التقرب إلى يسوع يشتمل على استشهاد. أن « يشربا الكأس » التي كانت على يسوع أن يشربها يعنى ان يختبرا الآلام نفسها كما سيختبرها يسوع[٣]. لم يكن الأخوين يعلمان ما يطلبان.

عبرا عن تفكير دنيوي. « أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم ... » (متى ٢٠: ٢٥ و٢٦). سؤال العالم الدائم هو: « من هو الأول؟ » أخفق الأخوين في أن يدركا بان معايير الملكوت تختلف جوهرياً عن معايير العالم الذي لا يعرف الله.

لقد كان منقسماً. « فلما سمع العشر، اغتاظوا من أجل الأخوين » (٢٠: ٢٤). كان ذلك رد فعل طبيعي من جانب الذين يتوقعون ان

---

[١] يوجد مثال لذلك في إنجيل لوقا ٢٢:٢٤ : « وكانت بينهم أيضاً مشاجرة من منهم يظن انه يكون أكبر ».

[٢] لاحظ بان مرقس قال بان الابنان هما اللذان قدما الطلب (مرقس ١٠:٣٥–٣٧). ربما متى هو الذي قال بأكثر تفصيل. كان هذا حقاً طلب الابنين، ولكن أمهما التي قدمت الطلب نيابة عنهما.

[٣] لأن المجاز المستخدم، أي « كأس » يمثل آلام، أنظر متى ٢٦:٢٩ ؛ إشعياء ٥١:١٧؛ إرمياء٢٥:١٧ إلخ.؛ حزقيال ٢٣:٣١ إلخ.

يحتلوا المرتبة الأدنى بعد الأخوين، ولكن يبين أن التلاميذ العشر الآخرون مثلهم مثل يعقوب ويوحنا لم يكونوا أبرياء من الطموحات. وأيضاً اثارتهما للموضوع هي التي أدت إلى النزاع. ولم يكن صحيحاً.

قد يدل على انه يمكن الحصول على الشرف في الملكوت بالجهد. لا شك ان يعقوب ويوحنا كانا يؤمنان بانهما يستحقا أن يكونا الأول والثاني في الملكوت، ولا ندري السبب في ذلك. لا يهمنا ذلك. النقطة الأساسية هي ان مثل هذا الشرف هو عطية إلهية فقط، وليس شيء نحصل عليه نتيجة لجهدنا أو استحقاقنا: «أما كأسي فتشربانها، وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان. وأما الجلوس عن يميني وعن يساري، فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي!» (متى ٢٠: ٢٣).

بعد ما بين خطأ الأخوين، حينئذ فسر يسوع المبدأ الرئيسي للعظمة في ملكوت الله – أي الخدمة. بغض النظر عن طرق العالم المستبدة، قال: «فلا يكون هكذا فيكم، بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً، فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً، فليكن لكم عبداً» (متى ٢٠: ٢٦ و٢٧). وكذروة لكل هذه المناقشة، استشهد بمثاله، أي بنموذج الحياة المسيحية: «كما ان ابن الإنسان لم يأت ليُخْدَم بل ليَخْدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (متى ٢٠: ٢٨). استمر بولس بهذه الفكرة الرئيسية في فيلبي ٢: ٥–١١ عند وصفه لـ «فكر المسيح» الذي يجب أن يكون لكل المسيحيين، وخاصة في علاقتهم مع بعضهم البعض. انه من المفيد التطلع على هذين المقطعين معاً، سنفحص كلام يسوع عن نفسه كلمة بكلمة ونقارن كلمات بولس بكلماته.

لا ليُخْدَم

إذا كان هناك أي شَخص مستحق أن يُخْدَم لكان يسوع هو ذلك الشخص. كان يسوع «الخروف المذبوح» قد أُظْهِر ليوحنا في رؤيا انه الوحيد في كل السماء والأرض الذي يأخذ السفر من يد الله ويفتح ختوم المستقبل. شرع جميع سكان السماء يرنمون:

> مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبِحْتَ واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض (رؤيا ٥: ٩ و١٠).

بغض النظر عن استحقاقه الذي لا يضاهى، فقد تخلى يسوع عن حقه في ان يُخْدَم وصار هو نفسه خادماً لكل بني البشر لأنه كان يفكر بهدف أسمى من ان يخدمه آخرون. كما قال بولس في فيلبي ٢: ٦ بانه: «كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله».

استشهد بولس بمثال يسوع لأنه يجب على الكنيسة أن تتعلم التخلي عن سلوك الرغبة الدائمة بأن يُخْدَم. مثل هذا السلوك يخلق لكثير من المسيحيين أنانية شديدة، حيث يهتمون فقط بما «يستفيدون منه». لا يحضر الكثيرون خدمة العبادة لأنهم يقولون انهم لا «يستفيدون منها». هكذا أيضاً عند دراسة الكتاب المقدس – لا يقال شيء عن القيام بخدمة الآخرين. يبدو ان فكرة «الاستفادة من شيء» هي ما تضع في الاعتبار في المقام الأول عند صنع القرار للمشاركة في أي نشاط ديني أم لا. ويكون «عدم الاستفادة منه» مبرراً لعدم المشاركة.

ماذا تظن بان يسوع قد «استفاد» من الصليب؟ هل كان هناك شيء ممتع أو مُرْضِي غير الإذلال الشديد، ناهيك عن آلام الجسد؟ هل «استفاد من» بُصاق أعداءه الذي كان يسيل من على وجهه؟ كلا. بل لانه هكذا احتاج الأمر أن يكون هناك! أنه كان هناك لأجل آخرين، وليس لأجله. يعلمنا مثال يسوع ان نفكر في ما ينبغي لنا أن نعمل، وليس مجرد ما نريد أن نعمل. لكي نتمثل بالمسيح حقاً، لا بد أن نتخلى أولاً عن سلوك الرغبة الدائمة في ان «نُخْدَم». لا ينبغي أن نفكر فقط عما «نستفيد منه»، بل ماذا «نعطي».

«بل ليَخْدم»

جاء يسوع ليَخْدِم؛ كان هذا هدفه، وقصده في هذه الحياة. لم يحدث له هذا صدفة أو لأنه

لم يستطع تجنبه. بل كانت حياة الخدمة خياره. قال بولس بانه: « أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس » (فيلبي ٢: ٧). انه سكب كل الكبرياء، والطموحات، وشهوات العالم وأسلم نفسه لأجل آخرين.

لكي تقيس سلوكك تجاه الخدمة، اسأل نفسك: « إلى أي حد يجعلني الإيمان أرغب في الآخرين؟ » عندما تحضر خدمة العبادة يوم الأحد، هل تقوم بتشجيع الآخرين، وتظهر لهم اهتمامك بهم؟ هل تخرج يوماً بعد يوم لتخدم الآخرين حسب احتياجاتهم؟ متى كانت آخر مرة قمت بذلك؟ نكون مثل يسوع من حيث حد الاهتمام بالآخرين. استشهد بولس بمثال يسوع ليعلم أهل فيلبي أن لا ينظروا « كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً » (فيلبي ٢: ٤). الاهتمام بمصالح الآخرين شيء عكس الذوق، لأن هذه ليست طريقة العالم. العالم مملوء بـ « الذين يعطون أهمية قصوى لأنفسهم » – الذين يتعالون بأنفسهم فوق كل شخص وكل شيء آخر. كان يعقوب ويوحنا يعطيا أهمية قصوى لنفسهما بطلبهما غير الصحيح ان يجلسا عن اليمين وعن اليسار في ملكوت الرب. ولكن يعلمنا ربنا أن نكون أناس يعطون أهمية قصوى لأنفسهم بطريقة أخرى، أي أن نكون أناس يهتمون أكثر بالآخرين عوضاً عن اهتمامنا بأنفسنا. لا نفعل ما هو أقل إذا ما تبعنا مثاله وتعاليمه.

« وليبذل نفسه فدية عن كثيرين »

« وإذ وجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب » (فيلبي ٢: ٨). قام يسوع بأقصى تضحية، ولأنه قام بذلك، يترك مكاناً في حياتي وفي حياتك لنمو روحي دائم. لا نستطيع أبداً ان نعادل محبته في اعطاء النفس. يمكن أن نسعى كل حياتنا لنعطي أنفسنا، ومع ذلك يكون هناك دائماً مكاناً لنقوم بالمزيد لخدمة المسيح والآخرين. ينبغي أن يكون هذا هدف حياتنا: ان نسعى دائماً لنجد طرق جديدة لنعطي أنفسنا ونخدم آخرين. إذا أخفقنا في أن نجعل مثاله هدفاً لنا، ستكون حيانا الروحية في مأزق في وقت ما. ولكن امكانية نمونا تكون غير محدودة إذ كنا نتبع باستمرار مثال الخادم الذي أظهره يسوع.

هل تتخيل كيف شعر يعقوب ويوحنا وأُمهما عندما سمعوا كلام يسوع؟ ربما خجلوا جداً بسبب عدم فهمهم وأنانيتهم. ولكن يتضح انهم تعلموا درساً عظيماً، لأن كل منهما شرب كأس آلام يسوع:

يعقوب « شرب الكأس » عندما قطع هيرودس أغريباس الأول رأسه أعمال ١٢: ٢).

ويوحنا « شرب الكأس » في جزيرة بطمس حيث تم سجنه، وحسب التقاليد، قُتل أخيراً.

حتى أمهما أيضاً « شربت الكأسَ ». يقول إنجيل متى ٢٧: ٥٦ انه عندما صلب يسوع، كانت « أم ابني الزبدي » إحدى القليلات اللواتي وقفن هناك. ورأت بنفسها ماذا يعني « شرب الكأس ».

الخلاصة

كيف تشعر عند سماعك كلام يسوع عن تكريس نفسك للخدمة؟ هل أنت مستعد ان تتخلى عن الطموحات الأنانية؟ هل أنت مستعد أن « تشرب الكأس » مع يسوع؟ هل أنت مستعد أن تكف عن الطلب لتُخْدَم وأن تتخلى عن احساسك المجروح، وتبدأ تنظر ما يمكن أن تفعل لخدمة المسيح والآخرين؟ هل يمكن ان تبدأ الآن؟

اقتباسات

المسيحية هي فرصة للعمل

الإنسان المتشائم هو الذي ينظر إلى العالم من خلال نظارة ويلات ملونة.

بقلم/ كولمس

قال آب ينصح ابنه المتذمر والمخفق: يا بنيّ، كل ما تحتاج إليه هو التشجيع وضربة خفيفة في قاعدة « غير الممكن ».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧